

الغرب يؤجج الإبادة الجماعية في غزة منذ أشهر.. ويدعو الآن لـ“ضبط النفس”



ترجمة وتحرير: نون بوست

أصبح الساسة الغربيون فجأة، بدءًا من الرئيس الأمريكي جو بايدن إلى رئيس الوزراء البريطاني ريشي سوناك، من المدافعين المتحمسين عن “ضبط النفس” - في تدافع في اللحظة الأخيرة لتجنب اندلاع حريق إقليمي. لقد أطلقت إيران وإبلا من الطائرات المسيّرة والصواريخ على إسرائيل في نهاية الأسبوع فيما كان بمثابة استعراض رمزي للقوة إلى حد كبير. ويبدو أن العديد منها قد تم إسقاطه إما بمستويات إسرائيلية متعددة من أنظمة الاعتراض التي تموّلها الولايات المتحدة أو بواسطة الطائرات المقاتلة الأمريكية والبريطانية والأردنية - ما يعني أنه لم يُقتل أحد.

كان هذا أول هجوم مباشر من قبل دولة على إسرائيل منذ أن أطلق العراق صواريخ سكود خلال حرب الخليج سنة 1991. وتم الضغط على مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة لعقد اجتماع عاجل يوم الأحد حيث دعت واشنطن وحلفاؤها إلى تهدئة التوترات التي يمكن أن تؤدي بسهولة إلى اندلاع الحرب في جميع أنحاء الشرق الأوسط وخارجه.

قال الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، خلال الاجتماع: “لا المنطقة ولا العالم قادران على تحمل المزيد من الحروب. لقد حان الوقت لنزع فتيل التوتر ووقف التصعيد”. وفي الوقت نفسه، تعهدت إسرائيل “بتحديد العقوبة” ضد إيران في الوقت الذي تختاره، ولكن تحول الغرب المفاجئ إلى “ضبط النفس” يحتاج إلى بعض التوضيح.

في نهاية المطاف، لم يُظهر الزعماء الغربيون أي ضبط للنفس عندما قصفت إسرائيل القنصلية الإيرانية في دمشق قبل أسبوعين، مما أسفر عن مقتل جنرال رفيع المستوى وأكثر من عشرة إيرانيين آخرين - وهو السبب المباشر وراء انتقام طهران ليلة السبت.

بموجب اتفاقية فيينا، لا تعد القنصلية مهمة دبلوماسية محمية فحسب، بل يُنظر إليها أيضا على أنها أرض إيرانية ذات سيادة وكان هجوم إسرائيل عليها عملاً عدوانياً جامعاً - إنها “الجريمة الدولية الكبرى”، كما قضت محكمة نورمبرغ في نهاية الحرب العالمية الثانية. لهذا السبب، استندت طهران إلى المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة، التي تسمح لها بالتصرف دفاعاً عن النفس.

تحصين إسرائيل

بدلاً من إدانة عدوانية إسرائيل الخطيرة - الهجوم الصارخ على ما يسمى “النظام القائم على القواعد” الذي تبجله الولايات المتحدة - اصطف القادة الغربيون خلف الدولة العميلة المفضلة لواشنطن. وفي اجتماع لمجلس الأمن في الرابع من نيسان/ إبريل تعمدت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا رفض ضبط النفس من خلال عرقلة صدور قرار كان من شأنه أن يدين الهجوم الإسرائيلي على القنصلية الإيرانية - وهو التصويت الذي لو لم يتم إحباطه لكان كافياً لتهدئة طهران.

في نهاية الأسبوع، أبدى وزير الخارجية البريطاني ديفيد كاميرون إعجابه بتسوية إسرائيل للمباني الدبلوماسية الإيرانية بالأرض، قائلاً إنه “يتفهم تمامًا الإحباط الذي تشعر به إسرائيل” - مع أنه أضاف، دون أي إشارة إلى الوعي بنفاقه، أن المملكة المتحدة “ستتخذ إجراءً قوياً للغاية” إذا قامت دولة ما بقصف القنصلية البريطانية.

من خلال حماية إسرائيل من أي عواقب دبلوماسية لعملها الحربي ضد إيران، ضمنت القوى الغربية أن طهران ستضطر إلى اتباع رد عسكري بدلاً من ذلك. لكن الأمر لم ينته عند هذا الحد. وبعد أن أثار شعور إيران بالظلم في الأمم المتحدة، تعهد بايدن بتقديم دعم “قوي” لإسرائيل - وعواقب وخيمة على طهران - إذا تجرأت على الرد على الهجوم على قنصليتها. لقد تجاهلت إيران تلك التهديدات. وأطلقت ليلة السبت نحو 300 طائرة مسيرة وصاروخ في الوقت نفسه احتجاجاً على “تقاعس مجلس الأمن وصمته، إلى جانب فشله في إدانة اعتداءات النظام الإسرائيلي”.

فشل القادة الغربيون في ملاحظة ذلك. لقد وقفوا مرة أخرى إلى جانب إسرائيل وأدانوا طهران. وفي اجتماع مجلس الأمن يوم الأحد، سعت الدول الثلاث نفسها - الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا - التي منعت في وقت سابق إصدار بيان يدين الهجوم الإسرائيلي على البعثة الدبلوماسية الإيرانية، إلى إدانة رسمية لطهران على ردها.

وسخر سفير روسيا لدى الأمم المتحدة، فاسيلي نيبينزيا، مما أسماه “استعراض النفاق الغربي والمعايير المزدوجة”. وأضاف: “أنتم تعلمون جيداً أن الهجوم على بعثة دبلوماسية هو سبب للحرب بموجب القانون الدولي. وإذا تعرضت البعثات الغربية لهجوم فلن تترددوا في الرد وإثبات قضيتكم في هذه الغرفة”. لم يكن هناك أي قدر واضح من ضبط النفس عندما احتفل الغرب علناً بتواطئه مع إسرائيل في إحباط الهجوم الإيراني - وبالتالي جعل نفسه طرفاً مباشراً في هذه المواجهة الخطيرة.

أشاد رئيس الوزراء البريطاني ريشي سونك بيطياري سلاح الجو الملكي البريطاني على “شجاعتهم واحترافيتهم” في المساعدة على “حماية المدنيين” في إسرائيل. وفي بيان آخر، أدان كير ستارمر، زعيم حزب العمال المعارض المفترض، إيران لتوليد “الخوف وعدم الاستقرار”، بدلا من “السلام والأمن”، الأمر الذي يهدد بإشعال “حرب إقليمية أوسع نطاقاً”. وقال إن حزبه “سيدافع عن أمن إسرائيل”. وبيدو أن “ضبط النفس” الذي يطالب به الغرب لا يرتبط إلا بالجهود التي تبذلها إيران للدفاع عن نفسها.

الموت جوعاً

نظراً لإدراك الغرب الجديد للحاجة إلى الحذر، والمخاطر الواضحة المتمثلة في التجاوزات العسكرية، فقد يكون الآن هو الوقت المناسب لكي يفكر قاداته في المطالبة بضبط النفس بشكل أكثر عمومية - وليس

فقط لتجنب المزيد من التصعيد بين إيران وإسرائيل.

على امتداد الأشهر الستة الماضية، قصفت إسرائيل غزة وحولتها إلى أنقاض، ودمرت منشآتها الطبية ومكاتبها الحكومية، وقتلت وشوهت عشرات الآلاف من الفلسطينيين. والحقيقة أن الدمار هو الذي أفقد غزة منذ فترة القدرة على إحصاء قتلاها وجرحاها.

وفي الوقت نفسه، كثفت إسرائيل حصارها المستمر منذ 17 سنة على القطاع الصغير إلى درجة أن السكان في قبضة المجاعة بسبب قلة الغذاء والماء، والناس، وخاصة الأطفال، يتضورون جوعا حتى الموت.

كانت محكمة العدل الدولية، أعلى محكمة في العالم، التي يرأسها قاض أمريكي، قد قضت في كانون الثاني/يناير - عندما كان الوضع أقل خطورة بكثير مما هو عليه الآن - بأنه تم تقديم قضية “معقولة” بأن إسرائيل ترتكب جريمة إبادة جماعية، وهي جريمة ضد الإنسانية المحددة بدقة في القانون الدولي.

مع ذلك، لم تكن هناك دعوات من جانب الزعماء الغربيين إلى “ضبط النفس” بينما كانت إسرائيل تقصف غزة وتحولها إلى أنقاض أسبوعا بعد أسبوع، وتضرب مستشفياتها، وتسوي مكاتبها الحكومية بالأرض، وتفجر جامعاتها ومساجدها وكنائسها، وتدمر مخازنها.

بدلاً من ذلك، سارع الرئيس بايدن مرارًا وتكرارًا إلى إبرام مبيعات أسلحة طائرة، متجاوزًا الكونغرس، للتأكد من أن إسرائيل لديها ما يكفي من القنابل لمواصلة تدمير غزة وقتل أطفالها. وعندما تعهد القادة الإسرائيليون بمعاملة سكان غزة مثل “الحيوانات البشرية”، وحرمانهم من كل الغذاء والماء والكهرباء، وافق الساسة الغربيون على ذلك.

لم يكن سوناك مهتمًا بتجنيد طياريه الشجعان في سلاح الجو الملكي البريطاني “لحماية المدنيين” في غزة من إسرائيل، ولم يُظهر ستارمر أي قلق بشأن “الخوف وعدم الاستقرار” الذي يشعر به الفلسطينيون من عهد الإرهاب الإسرائيلي. عكس ذلك تماما. حتى أن ستارمر، المشهور كمحامي حقوق الإنسان، أعطى موافقته على العقاب الجماعي الذي تفرضه إسرائيل على شعب غزة، و“الحصار الكامل” الذي تفرضه، كجزء لا يتجزأ من “حق الدفاع عن النفس” الإسرائيلي المفترض. ومن خلال قيامه بذلك، فقد أبطل أحد أهم مبادئ القانون الدولي المتمثلة في أنه لا ينبغي استهداف المدنيين بسبب تصرفات قادتهم. وكما هو واضح الآن، فقد أصدر حكم الإعدام على سكان غزة. أين كان “ضبط النفس” إذن؟

في عداد المفقودين

على نحو مماثل، تم تجاهل ضبط النفس عندما اختلقت إسرائيل ذريعة للقضاء على وكالة إغاثة وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة، الأونروا، التي تمثل شريان الحياة الأخير لسكان غزة الذين يعانون من الجوع.

وعلى الرغم من أن إسرائيل لم تتمكن من تقديم أي دليل على ادعائها بأن مجموعة من موظفي الأونروا متورطون في هجوم على إسرائيل في السابع من تشرين الأول / أكتوبر، إلا أن القادة الغربيين سارعوا إلى قطع التمويل عن الوكالة. ومن خلال قيامهم بذلك، أصبحوا متواطئين بشكل فعال فيما كانت المحكمة الدولية تخشى بالفعل أن يكون إبادة جماعية.

أين كان ضبط النفس عندما اختلق المسؤولون الإسرائيليون - الذين لهم تاريخ طويل من الكذب لتعزيز الأجندة العسكرية لدولتهم - قصصا عن قيام حماس بقطع رؤوس الأطفال، أو قيامها بعمليات اغتصاب منهجية في السابع من تشرين الأول / أكتوبر؟ تم فضح كل هذا من خلال تحقيق أجرته قناة الجزيرة بالاعتماد إلى حد كبير على مصادر إسرائيلية.

لقد تم تضخيم تلك الخدع التي تبرر الإبادة الجماعية بسهولة من قبل السياسيين ووسائل الإعلام الغربية. ولم تظهر إسرائيل أي ضبط للنفس في تدمير مستشفيات غزة، أو احتجاز الرهائن وتعذيب الآلاف من الفلسطينيين الذين اختطفتهم من الشوارع. وكل ذلك حصل على موافقة هادئة من السياسيين الغربيين. أين كان ضبط النفس في العواصم الغربية عندما خرج المتظاهرون إلى الشوارع للمطالبة بوقف إطلاق النار، ووقف إراقة الدماء الإسرائيلية للنساء والأطفال، الذين يشكلون غالبية القتلى في غزة؟ لقد تم تشويه سمعة المتظاهرين - ولا يزالون - من قبل السياسيين الغربيين باعتبارهم مؤيدين للإرهاب ومعادين للسامية. وأين كانت المطالبة بضبط النفس عندما مزقت إسرائيل كتاب القواعد الخاص بقوانين الحرب، وسمحت لكل رجل قوي محتمل بأن يستشهد بتساهل الغرب مع الفظائع الإسرائيلية باعتباره سابقة لتبرير جرائمه؟ وفي كل مناسبة، عندما فضّل الغرب أهداف إسرائيل الخبيثة، كان التزام الغرب بضبط النفس في عداد المفقودين.

دولة العميل الأعلى

هناك سبب وراء تباهي إسرائيل بوحشيتها في غزة وشعبها. وهذا هو نفس السبب الذي جعل إسرائيل تشعر بالجرأة لانتهاك الحرمات الدبلوماسية للقنصلية الإيرانية في دمشق. فعلى مدى عقود، حظيت إسرائيل بالحماية والمساعدة من الغرب، مهما كانت الجرائم التي ترتكبها.

لقد قام مؤسسو إسرائيل بالتطهير العرقي لجزء كبير من فلسطين في سنة 1948، وهو ما يتجاوز بكثير شروط التقسيم التي حددتها الأمم المتحدة قبل ذلك بسنة واحدة، وفرضت احتلالاً عسكرياً على ما تبقى من فلسطين التاريخية في سنة 1967، مما أدى إلى طرد المزيد من السكان الأصليين. ثم فرضت نظام الفصل العنصري على المناطق القليلة التي بقي فيها الفلسطينيون.

في محمياتهم بالضفة الغربية، تعرض الفلسطينيون لمعاملة وحشية منهجية، وهدمت منازلهم، وتم بناء المستوطنات اليهودية غير القانونية على أراضيهم، وتم تطويق أماكن الفلسطينيين المقدسة وأخذها منهم تدريجياً. وبشكل منفصل، ظلت غزة مغلقة منذ 17 سنة، وسكانها محرومون من حرية التنقل والعمل وأساسيات الحياة. إن عهد الإرهاب الذي تمارسه إسرائيل للحفاظ على سيطرتها المطلقة يعني أن السجن والتعذيب أصبحا طقوساً اعتيادية بالنسبة لمعظم الرجال الفلسطينيين حيث يتم سحق أي احتجاج بلا رحمة. والآن أضافت إسرائيل المذابح الجماعية في غزة - الإبادة الجماعية - إلى قائمتها الطويلة من الجرائم.



امرأة فلسطينية تقف وسط الأنقاض أمام مبنى منهار في الجانب الشرقي من مخيم المغازي للاجئين الفلسطينيين وسط قطاع غزة، 15 نيسان/أبريل 2024.

أدى تهجير إسرائيل للفلسطينيين إلى الدول المجاورة بسبب عمليات التطهير العرقي والمذابح إلى زعزعة استقرار المنطقة على نطاق أوسع، ومن أجل تأمين مشروعها الاستعماري الاستيطاني العسكري في الشرق الأوسط - ومكانتها كأكبر دولة عميلة لواشنطن في المنطقة - قامت إسرائيل بترهيب وقصف وغزو جيرانها بشكل منتظم.

كان هجومها على القنصلية الإيرانية في دمشق أحدث سلسلة من الإهانات التي واجهتها الدول العربية. وعبر كل هذا، لم توجه واشنطن والدول التابعة لها لإسرائيل أكثر من دعوات كلامية عرضية لضبط النفس، ولم تكن هناك أي عواقب على الإطلاق، بل مكافآت من الغرب في شكل مليارات لا نهاية لها من المساعدات ووضع تجاري خاص.

”شيء متهور“

لماذا إذن، بعد عقود من العنف السافر من جانب إسرائيل، أصبح الغرب فجأة مهتمًا إلى هذا الحد بـ”ضبط النفس“؟ لأنه في هذه المناسبة النادرة، يخدم المصالح الغربية في تهدئة النيران التي تصر إسرائيل على إشعالها.

لقد جاءت الضربة الإسرائيلية على القنصلية الإيرانية في الوقت الذي كانت أعذار إدارة بايدن تنفذ أخيرًا لتوفير الأسلحة والغطاء الدبلوماسي الذي سمح لإسرائيل بذبح وتشويه وجعل عشرات الآلاف من الأطفال الفلسطينيين في غزة أيتامًا على مدى ستة أشهر.

ووصلت المطالب بوقف إطلاق النار وحظر الأسلحة على إسرائيل إلى درجة الحمى، مع نزيه دعم بايدن بين أجزاء من قاعدته الديمقراطية بينما يواجه إعادة الانتخابات الرئاسية في وقت لاحق من هذه السنة ضد منافسه دونالد ترامب. وقد تكون الأعداد الصغيرة من الأصوات هي الفارق بين النصر والهزيمة.

كان لإسرائيل كل الأسباب لتخاف من أن يسحب راعيها البساط من تحت حملة المذابح الجماعية التي

تشنها في غزة قريبًا. ولكن بعد أن دمرت البنية التحتية اللازمة لدعم الحياة في القطاع بالكامل، تحتاج إسرائيل إلى الوقت حتى تظهر العواقب: إما مجاعة جماعية هناك أو نقل السكان إلى أماكن أخرى لأسباب “إنسانية” مفترضة.

من شأن حربٍ أوسع نطاقًا تتمحور حول إيران أن تصرف الانتباه عن محنة غزة اليائسة وتجبر بايدن على دعم إسرائيل دون قيد أو شرط - للوفاء بالتزامه “الصارم” بحماية إسرائيل. وفوق كل ذلك، مع جرّ الولايات المتحدة بشكل مباشر إلى حرب ضد إيران، لن يكون أمام واشنطن خيار سوى مساعدة إسرائيل في حملتها الطويلة لتدمير برنامج الطاقة النووية الإيراني.

تريد إسرائيل إزالة أي احتمال قد يسمح لإيران بتطوير قنبلة نووية، وهو الأمر الذي من شأنه أن يؤدي إلى تكافؤ الفرص العسكرية بين الطرفين على نحو يجعل إسرائيل أقل يقينًا من قدرتها على الاستمرار في التصرف كما يحلو لها في مختلف أنحاء المنطقة مع الإفلات من العقاب.

لهذا السبب، يعرب مسؤولو بايدن عن مخاوفهم لوسائل الإعلام الأمريكية من أن إسرائيل مستعدة “للقيام بشيء متهور” في محاولة لجر الإدارة إلى حرب أوسع. لكن الحقيقة أن واشنطن قامت منذ فترة طويلة بتنمية إسرائيل باعتبارها وحش فرانكشتاين العسكري، وكان دور إسرائيل على وجه التحديد هو إبراز قوة الولايات المتحدة بلا رحمة في الشرق الأوسط الغني بالنفط، والثمن الذي كانت واشنطن على أتم الاستعداد لقبوله هو استئصال إسرائيل للشعب الفلسطيني، واستبداله بـ “دولة يهودية” حصينة.

إن دعوة إسرائيل لممارسة “ضبط النفس” الآن بينما تستعرض جماعات الضغط الراسخة لديها عضلاتها وتتدخل في السياسة الغربية، وحيث يحكم الفاشيون المعترفون بذاتهم الحكومة الإسرائيلية، أمر يتجاوز المحاكاة الساخرة. وإذا كان الغرب يُقدّر حقًا ضبط النفس، فكان ينبغي له أن يصر على قيام إسرائيل به منذ عقود من الزمن.

المصدر: ميدل إيست آي